وتبدأ القصيدة بمقدّمة غَزَليّة ، من الواضح أن الشّاعر لم يأتِ بها إلا تقليداً للشُّعراء السّابقين ، وأعتقد أن هذه المِدْحةَ للرّسول كانت في غِنًى عن هذه المُقَدّمة ، التي بلغت أربعةً وعشرين بيتاً ، مُنْقَطِعَةِ السَّبب بما بعدها ، حتى وإن قال في نهايتها إنّ عِفّته العُذْرِيّة تقف حِجاباً بينه وبين تلك المحبوبةِ الخياليّة ، وهذا ضَرْبٌ من الاعتذار يُشبه ما قاله البارودي أيضاً عن النّسيب الذي افتتح به مِدْحتَهُ .

وينتقل الشّاعر بعد ذلك إلى مخاطبة نفسِه واعظاً إياها ، ومُبدياً النّدَمَ على ما فَرَطَ من ذنوبه ، وهو يختم هذا الجزء بأبياتٍ سارت مَسارَ الأمثال حول التحكُّم في الشّهوات ، وكبح جماحِها ، ويبدو هنا متأثّراً بأبيات البوصيري في ذلك ، وإن كانت أبياتُ شوقي لا تقلُّ عنها جمالاً :

صَلاحُ أمْرِكَ لِلأخْلاق مَرْجِعُهُ فَقَوِّم النَّفْسَ بالأخْلاقِ تَسْتَقِم
والنَّفْسُ من خَيْرِها في خَيْرِ عافِيةٍ والنَّفْسُ من شَرِّها في مَرْتَع وَخِم
تَطْغَى إذا مُكِّنَتْ من لَذَّةٍ وَهَوًى طَغْيَ الجِيادِ إذَا عَضَّتْ على الشُّكُم[1]

ويصلُ إلى موضوعه الرّئيسيِّ بعد اثنين وأربعين بيتاً ، ولكنه يُقحم بعد ذلك بيتاً لا نحسبه موفّقاً فيه ، يصف فيه نفسَهُ بأنه أشعرُ من زهير بن أبي سُلمى وأجودُ من هَرِم مَمدوح زهير . ثم يَشرع في وصف الرّسول بما رأيناه من قبلُ في شعر المديح المتأثّر بأفكار الصُّوفيّة ، حول الحقيقة المحمديّة ؛ فالرّسول ﷺ هو غايةُ الله من خلقه ، وهو صاحبُ الحوض يومَ القيامة ، على حين يقف الرُّسل حائرين لا يعرفون متى يكون الورودُ ، وجبريلُ نفسُه ظمآن ، ولا غَرْوَ فالأنبياءُ جميعاً إنّما ينتسبون إليه ، وإن كانوا أسبقَ وجوداً ماديّا منه ، ذلك لأنه النُّور الذي انبثقوا منه :

---

(١) مَرْتَع : مَرْعى ، وَخِم : رديء وبيء ، الشُّكُم جمع شكيمة : الحديدة المعترضة في فم الفرس .